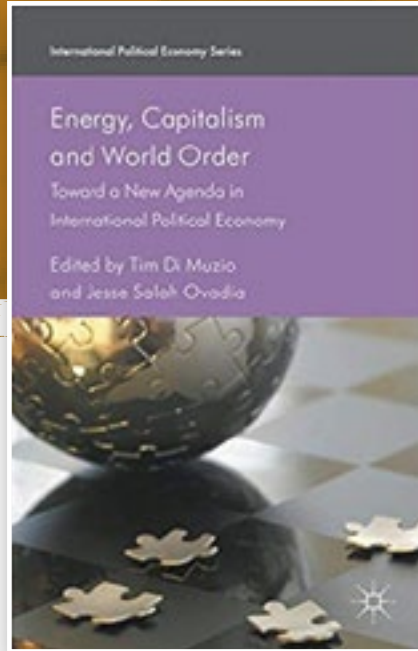


نوفل غيفي | *Noufel Ghiffi

نحو جدول أعمال جديد في الاقتصاد السياسي الدولي مراجعة كتاب الطاقة والرأسمالية والنظام العالمي

Towards a New Agenda in International Political Economy
A review of *Energy, Capitalism and World Order*



Tim Di Muzio & Jesse Salah Ovadia

*Energy, Capitalism and World Order. Toward a New Agenda
in International Political Economy*

(Basingstoke, UK: Palgrave Macmillan, 2016), 264 p.

* أستاذ اقتصاد المقاومة واقتصادات الموارد الطبيعية بجامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب.

Professor of Economics of Entrepreneurship and Natural Resources Economics, Cadi Ayyad University, Marrakech, Morocco.

الطبيعية أو ندرتها، مجادلاً بأن هناك أسباباً كبرى تشير إلى أن الأفكار والثورات الليبرالية تدين بظهورها وتطورها للوفرة الإيكولوجية (ص 42-44). أما الفصل الثالث، "الاقتصاد السياسي للتجارة في عصر الطاقة الكربونية"، فيتضمن موقفاً نقدياً تجاه نظرية التجارة الحرة فيما يتعلق بالرأسمالية والطاقة. ويبين فيه كل من سيلك ترومر وتيم دي موزيو أنه، منذ الاقتصاد السياسي لآدم سميث، تطورت نظريات "التجارة الحرة" إلى أن أصبحت تمثل التيار السائد Mainstream. ومع ذلك، فإنهما يتبنيان منظوراً نقدياً تجاه هذه النظريات السائدة، مشيرين إلى أنه من المهم جداً الوضعية التاريخية لنظرية التجارة الحرة، بوصفها قد تطورت داخل عصر طاقة الكربون، وأن من شأنها أن تصبح غير متسقة مع عصر تصبح فيه طاقة الكربون أكثر تكلفة على نحو متزايد (ص 73).

وبعد نقاشات مفاهيمية ونظرية مختلفة في الجزء الأول، يتم عرض حالات محددة في الجزء الثاني لتأكيد أن الاقتصاد السياسي الدولي في إمكانه استيعاب أهمية الطاقة في تحليله للنظام العالمي والحياة اليومية. ويسلط أوفاديا الضوء في الفصل الرابع، "التنمية الرأسمالية المدعومة بالنفط في الجنوب العالمي: حالة استثنائية نفطية إيجابية؟"، على ترابط النفط والتطور الرأسمالي في السياق العام لدول الجنوب، موضحاً أنه لم تتوافر شروط الانتقال إلى الرأسمالية وما يرتبط بذلك من تنمية بشرية متزايدة في هذه البلدان، مستكشفاً معالم تجاوز "لعنة الموارد النفطية" في الجنوب، وبلورة منظور جديد للاستثناء النفطي الإيجابي (ص 86)، والتنمية الدولاتية والتحويلات البنوية المرتبطة بها (ص 88).

ويخصّ توم تشادور في الفصل الخامس، "نوع مختلف من السحر؟ النفط والتنمية والثورة البوليفارية في فنزويلا"، التجربة الفنزويلية التي استهلها هوغو تشافيز عام 1988 بالدرس والتحليل، مبرزاً توترات هذا النموذج الفنزويلي البوليفاري وتناقضاته، واستمرار التأثيرات السلبية لـ "المرض الهولندي"⁽¹⁾ (ص 108-110).

في حين ينظر الفصل السادس، "نحو جبهة طاقة في أميركا الشمالية: الآثار الجيوسياسية للفدرالية المحافظة على السوق"، في توحيد السوق الطاقة الإقليمية في أميركا الشمالية، بين المنظورين الكندي والأميركي. ويجادل دان بوسفيلد في هذا الفصل بأن كتلة أميركا الشمالية الجديدة للطاقة تملي حدوداً أمام المفاوضات البيئية الدولية، وإعادة صياغة السياسات البيئية الوطنية، وتحديد شروط مناقشات الطاقة في كلا البلدين، مع استمرار تأدية أسواق الطاقة لدورٍ مهمين على الإستراتيجية الجيوسياسية التقليدية على نحو متزايد (ص 124).

1 يشير "المرض الهولندي" Dutch Disease إلى التأثيرات السلبية لازدهار التنمية الاقتصادية؛ بسبب اكتشاف الموارد الطبيعية ووفرتها بالنسبة إلى القطاعات التحويلية الصناعية أو الزراعية. وتعود التسمية إلى تراجع قطاع التصنيع في هولندا بعد اكتشاف حقل كبير من الغاز الطبيعي عام 1959.

من جهته، يجادل بيتر نيويل في الفصل السابع، "الاقتصاد السياسي للتغير المناخي: تحولات الطاقة المنخفضة الكربون في ظل الرأسمالية"، بأنّ التغير المناخي قد أضحى القضية البيئية الكبرى والمحددة في عصرنا، بوصفه سمةً أساسيةً للعلاقة بين الطاقة والرأسمالية والنظام العالمي، منتقدًا قدرة الحضارة الصناعية القائمة بأكملها على الطاقة الأحفورية على الاستدامة، ومبررًا أهمية إنجاح الانتقال الطاقوي المنخفض الكربون في سياق الاقتصاد السياسي للتغير المناخي (ص 141). ويشدّد نيويل على أهمية دمج التحولات في علاقات القوة والتوازنات الجيوسياسية التي تنتجها العولمة، وعلى ما تعنيه هذه الجهود الجماعية لمعالجة التغير المناخي (ص 133-134).

ويستكشف الجزء الثالث والأخير من الكتاب رأسمالية القرن الحادي والعشرين بارتباطها بالرهانات الطاقوية الجديدة، وأولها طفرة "الوقود الحيوي" التي يتناولها جوزيف بينز ودافاد رافينسبيرغين في الفصل الثامن، "ازدهار الإيثانول وتكثّل التوزيع في الصناعة الزراعية الأميركية"، معتبرين أنها درامية، على نحوٍ خاص، في قطاع الإيثانول الأمريكي الذي ينتج اليوم نحو نصف الكمية الإجمالية من الوقود الحيوي المنتج في جميع أنحاء العالم. ويستخلص الباحثان الآثار السياسية لهذه التكتلات، ويقترحان تجاوز البارادايما التنافسية القائمة في هذه القطاعات لصالح نظام غذائي يعطي أولوية أكبر للاستزراع المتعدد الأنواع والاستدامة المحلية (ص 163).

ويركز مات داو في الفصل التالي، "الطبيعة غير المستدامة لحضارة السوق البترولية في كندا"، على قضية رئيسة في القرن الحادي والعشرين متمثلة بالنفط غير التقليدي، وكيف أنّ التهديد باستنزاف الوقود الأحفوري العالمي يدفع الصناعة الهيدروكربونية غير التقليدية في كندا إلى مناطق جديدة نائية، وربما حتى إلى منطقة القطب الشمالي. لينتقد الباحث بشدة هذه الرأسمالية الكربونية القائمة على أنماط عيش مكثفة من الطاقة، معتبرًا أنّ "البارادايما التفتني - الاقتصادي" بات عاجزًا عن تقديم أجوبة ناجعة للتحديات البيئية وتحديات الاستدامة المطروحة، وأنه ينبغي تنظيم "مقاومة" للكنديين ضد هذه المشاريع للتطوير الكربوني (ص 179). وتستكشف إيما لي، من خلال "التكسير في مستقبل حضارة السوق البترولية"، حدود الظاهرة المثيرة للجدل للتكسير المائي التي دفعت بها قوة الحكومة الفدرالية الأميركية؛ استنادًا إلى الارتباط بمصالح شركات الطاقة الكبرى، وعلى نحو متصل بـ "الحلم الأمريكي" الذي تعكف على إبراز مفارقاته وحدوده (ص 187-189).

في حين يقدم الفصل الحادي عشر، "الاقتصاد السياسي الدولي النقدي، والمدى المفتوح، ووهم الحقبة"، الاستنتاج الأنسب لهذا الكتاب الجماعي؛ إذ يشرح فيه دي موزيو أنّ مشكلات الطاقة، سواء نُظر إليها من منظور الحروب أو الصراعات المحتملة، أو من منظور الفرص لمزيد من التعاون، ستستمر في الأمد المنظور، وأنّ الوقود الأحفوري هو في نهاية الأمر غير متجدّد على نطاق زمني بشري (ص 202).

في الحصيلة، يقدم الكتاب جهداً جماعياً للتعامل مع التفاعل الدينامي للطاقة ومستقبل النظام العالمي في سياق الرأسمالية العالمية. وفي المقابل، فإن ما يبدو غير موجود، من بين المجالات المواضيعية الثلاثة للكتاب الجماعي، هو عدم استكشاف علاقتها بمستقبل النظام العالمي الرأسمالي على نحو كامل. وقد كان من الممكن أن يكون المشهد أوضح لو استطاع الكتاب أن يُظهر كيف أن الاقتصادات السياسية المتعددة في البلدان المتقدمة والنامية تستجيب لسياقاتها الخاصة من أجل معالجة ظروف الطاقة المتباينة ومتطلباتها من الموارد. فعلى حدّ تعبير المحرّرين في المقدمة؛ في حين تركز الدول الرأسمالية المتقدمة الاهتمام على الاقتصاد السياسي العالمي للطاقة من أجل البدء في معالجة تناقضات الديمقراطية ورأسمالية الكربون، فإنّ الطاقة التي يجري تقديمها في التحليل السياسي والاقتصادي للتنمية والتخلف في العالم الجنوبي تنتج أسئلة مختلفة جدّاً، ولكنها ليست أقل أهمية لفهم الطاقة، والرأسمالية، والنظام العالمي. وتظل المخاطر المرتبطة بتأثيرات التغير المناخي، حتى مع إدخال الانتقال الطاقوي المنخفض الكربون، غير مستكشفة استكشافاً كاملاً. وعلاوةً على ذلك، فإنّ ما تم تجاوزه هو التحديات الحالية والمستقبلية التي تواجهها البلدان النامية، وهي بلدان ما زالت تحاول تحقيق التصنيع على الرغم من الاتجاه نحو الانتقال الطاقوي المنخفض الكربون.

إجمالاً، هذا الكتاب مفيد للقراء في مجالات أكاديمية متعددة؛ مثل دراسات التنمية، والتاريخ، والجغرافيا، والعلاقات الدولية، والعلوم السياسية، والإدارة العامة، وحتى علم الاجتماع. وقد يكون أيضاً موضع اهتمام الممارسين في قطاع الطاقة، وخبراء السياسة، والحكومة، والقطاع العام، إضافة إلى كلّ المهتمين بدراسة الطاقة وعلاقتها بالرأسمالية والنظام العالمي المستقبلي؛ من خلال منظور الاقتصاد السياسي الدولي.